مقياس: فلسفة معاصرة1

المحور1: من الفلسفة الحديثة إلى الفلسفة المعاصرة

أ- مدخل إلى الفلسفة الغربية المعاصرة:

تمهيد: الاشارة الى تداخل ثلاث مصطلحات أساسية: الفلسفة المعاصرة-Philosophie Contemporaine ، الفلسفة الغربية المعاصرة Philosophie Occidental Contemporaine، فلسفة ما بعد الحداثة Philosophie Postmoderne.

1- **الفلسفة المعاصرة:** يوحي مصطلح فلسفة معاصرة في دلالته الأولى إلى أي فلسفة في العصر الحالي مهما كان وجودها في العالم، مثل الفلسفة الفرنسية، الفلسفة اليابانية، الفلسفة العربية...
لكن مقياس فلسفة معاصرة1 لا يأخذ بهذه الدلالة العامة للفلسفة المعاصرة، بل يقصر مفهومها على الفلسفة الغربية المعاصرة فحسب. ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الأخيرة أكثر الفلسفات تمثيلا للفلسفة المعاصرة بما تتميز به من خصوبة وتنوع وإبداع.

2- **تعريف الفلسفة الغربية المعاصرة:** هي مجموعة الأبحاث والتأويلات الفلسفية التي ظهرت لدى فلاسفة أوربا الغربية وأمريكا الشمالية في العصر الحديث ابتداء من نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 إلى اليوم. وهي " اسم يطلق على مجموعة من الفلسفات المختلفة التي ظهرت خلال المائة عام الماضية تقريبا"

3- **فلسفة مابعد الحداثة**:
هي الفلسفة التي تطلق على كل الاتجاهات الفلسفية النقدية التي تشكك في فلسفة الحداثة و الأنظمة الفلسفية الشمولية، وتأخذ بالنسبية والاختلاف وعدم القدرة على إعطاء تأويل نهائي لواقعنا ولمعرفتنا بالأشياء. أهم ممثلي هذه الفلسفة ليوتار، جاك دريدا، رورتي فيرابند...

استنتاج: يتبين مما سبق أن المصطلحات الثلاثة السابقة متداخلة تباعا، بحيث مصطلح الفلسفة المعاصرة مفهوم شامل يضم الفلسفة الغربية المعاصرة، وهذا الأخير بدوره يضم فلسفة ما بعد الحداثة.

ب- شروط نشأتها وظهورها:

التأصيل للفلسفة الغربية المعاصرة يجعلنا نبحث عن شروط وعوامل نشأتها وظهورها في القرن 20 في أوربا الغربية وأمريكا الشمالية، ولعل أهم تلك الشروط والعوامل هي:

+ **تطور العلم**: الفلسفة دائما في علاقة مع العلم، وتطور العلم يؤدي الى تطور الفلسفة، وهذا يعني أن النظريات العلمية الجديدة التي جاءت كنقيض لأنموذج الفيزياء النيوتونية مثل النظرية النسبية لدى انشطاين ونظرية الكم لدى ماكس بلانك ونظريات الأكسيوماتيك لدى لوباتشفسكي وريمان أثرت بدورها على الفلسفة ويمكن حصر تأثير هذه النظريات في ناحيتين:

- جعلت الفلاسفة المعاصرين يشككون في الأنظمة الفلسفية الشمولية وفي العقل، ومن هنا ظهرت فلسفات جديدة منفتحة على غيرها ونسبية و لا تدعي المطلقية مثل الوجودية والشخصانية والتفكيكية والهرمينوطيقا الفلسفية وغيرها.

- تأثر الفلسفات المعاصرة بالتطورات العلمية الجديدة مثل تأثير الداروينية في الفلسفة التطورية عند سبنسر، وفلسفة بيرس، والماركسية.. وظهور فلسفات تأخذ بالمنهج العلمي والمطق الرياضي مثل الوضعية والوضعية المنطقية وفلسفة التحليل..

+ **الرومانسية**: حركة فلسفية وأدبية تتميز بالنزعة الفردية والأخذ بفكرة الحساسية والتعاطف ومشاركة الغير أحزانه وأفراحه...يقول بوخنسكي: " وكان من الطبيعي أن يرتفع الاعتراض على العلم العقلي من جانب شعراء وفنانين وكتاب أزعجهم عقم الوصف العلمي للعالم." الانسان في النهاية ليس مجرد مادة وليس مجرد عقل بل هو أيضا عاطفة واحساس وشعور وغريزة، وقد ظهر تأثير الرومانسية واضحا في فلسفة روسو والهرمينوطيقا الرومانسية مع شلايرماخر ودلتاي.

+ **الفلسفة النقدية**: سيطرت الفلسفة الكانطية النقدية على الفلسفة المعاصرة طيلة القرن 19. والصبغة الأساسية لهذه الفلسفة هي الطابع النقدي والتركيبي للأفكار، حيث انها حاولت الحد من الصراع بين التيارين المادي والعقلي والتركيب بين الحس والعقل والجانب الميكانيكي بالجانب الذاتي، وقد امتد تأثير الكانطية الى مدرسة فرانكفورت و الفلسفة المثالية الألمانية والفينومينولوجيا الهوسرلية.

+ **انتشار النزعات القومية والحروب والأزمات الاقتصادية والسياسية،** وهذا عزز اتجاه الفلسفة إلى الواقع، والمساهمة في بناء المجتمعات الأوروبية والاهتمام بالقيم الإنسانية، وترسيخ القيم الديموقراطية التي عززت حرية التفكير والمساواة وقيم العدالة، وهذا ما نجده في الفلسفة الماركسية والوجودية والشخصانية.

+ **اللسانيات وفلسفة اللغة**: أدى البحث في اللغة إلى تطور علم اللغة وتنوع فروعه مثل السيمياء وعلم الدلالة والفونولوجيا وعلم النحو وغيرها من العلوم اللغوية، مع دوسوسير وبنفنيست وتشومسكي، لكن البحث الفلسفي في اللغة أظهر طبيعة اللغة وعلاقتها بالفكر وبواقع الإنسان، ومن هنا أسس البحث العلمي والفلسفي في اللغة لظهور فلسفات معاصرة مثل البنيوية، وفلسفة التحليل، والهرمينوطيقا الفلسفية.

ت- استنتاج: يتبين من التحليل السابق أن ظهور الفلسفة الغربية المعاصرة مرتبط بعدة عوامل وشروط متداخلة علمية وثقافية وسياسية وايديولوجية ولسانية ونقدية.

ث- علاقة الفلسفة الغربية المعاصرة بالفلسفة الغربية الحديثة:

لم تكن القطيعة بين الفلسفة الغربية الحديثة والفلسفة الغربية المعاصرة قطيعة تامة، بل نشهد استمرارية لبعض خصائص الفلسفة الحديثة في الفلسفة المعاصرة مثل النزعة الإنسانية والنزعة الفردية في الفلسفة الوجودية والشخصانية، والأخذ بالعلم كأساس لبناء النظم الفلسفية في الوضعية المنطقية والواقعية الجديدة، واستمرار بناء أنظمة فلسفية شمولية لاسيما عند ماركس والبنيوية، واستمرار بعض التأويلات الفلسفية الحديثة في الفلسفة المعاصرة مثل العقلانية التأملية المنحدرة عن مين دوبيران الى برونشفيك والنقدية والوضعية. وأن الفلسفة المعاصرة لا يمكن فهمها دون وضعها في السياق التاريخي للفلسفة الحديثة والفلسفة اليونانية، إذ هي تنهل من مفاهيم تلك الفلسفات وتستفيد من حلولها لكثير من المشكلات: إن مفهوم القصدية مثلا مفهوم مدرسي واستخدم من قبل بيرنتانو Berentano ، ثم من قبل هوسرل وفلسفة التحليل مع أونسكومب والتداولية اللغوية مع أوستن وسيرل، وكذلك مفاهيم الديالكتيك والنقد والشك والتحليل...

غير أن هذه الاستمرارية لبعض خصائص الفلسفة الحديثة واتجاهاتها في الفلسفة المعاصرة ليس مطلقا، حيث تتميز بأنها:

- معاصرة، أي تهتم بقضايا عصرنا الراهن الذي يبدأ مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 لدى أغلب الباحثين، حيث يدرج اميل برييه الفلسفة المعاصرة ضمن القرن 20، وكذلك يقول جون لاكوست: الفلاسفة المعاصرون هم أولا فلاسفة القرن العشرين. الفيلسوف الانجليزي ألفرد آير استطاع أن يكتب تاريخا قوي الأهمية بعنوان: Philosophy in The twentieth century "
- فلسفة تركيبية وتحليلية، أي تجد الاتجاه الفلسفي الواحد أو الفيلسوف الواحد يركب بين عدة مصادر وأفكار واتجاهات مثل فلسفة هيدجر وفلسفة بول ريكور، أما التحليل فقد طغى على الفلسفة الأنجلوسكسونية في الوضعية المنطقية والواقعية الجديدة وفلسفة التحليل.
- فلسفة تميل الى تجاوز النسقية أو الأنظمة الشمولية وتؤكد الانفتاح والنسبية
- فلسفة تتجه الى الحياة العملية والتطبيقية، حيث تفجرت فلسفات جديدة مثل الأخلاقيات التطبيقية، وفلسفة الفعل، والفلسفة اليومية.
- فلسفة متنوعة وخصبة، فهي متنوعة في مرجعياتها اللغوية والعلمية والسياسية والايديولوجية، وخصبة في اتجاهاتها وتأويلاتها. يقول أميل برييه : " أما فيما يتصل بعصرنا فإن الإنتاج الفلسفي لم يصل في عصر من العصور إلى ما وصل إليه الآن من التنوع والخصوبة. فهو يمثل ميدانا رحبا متنوعا ابتداء من البحوث المنطقية المجردة تمام التجريد، التي كانت وليدة تفكير الرياضيين وعلماء الطبيعة وعلماء المنطق، حتى البحوث التفصيلية الى أقصى حد، والتي تدرس طبيعة الانسان في المذهب الوجودي "
- وأخيرا، فإنه إذا كانت الفلسفة الحديثة تقف موقفا متناقضا مع الدين والفكر اللاهوتي، فإن الفلسفة المعاصرة قد عادت بنا مجددا إلى الدين مع كيركيجورد وهابرماس وبول ريكور.

ج- ومنه نستنتج أن العلاقة بين الفلسفة المعاصرة والفلسفة الحديثة هي علاقة جدلية، علاقة استمرار لبعض الأفكار والمفاهيم والنظريات وعلاقة انقطاع في نفس الوقت، حيث تؤسس الفلسفة المعاصرة لأفكار جديدة.